الوهابية

الوهابية

(مختصر)

المؤلف

سامي قاسم أمين المليجي

مع مذكرات
مستر همفر رجل المخابرات البريطانية
في البلاد الإسلامية

مقدمة

(مختصرة)

الهدف من نشر هذا الكتاب، هو فضح النوايا الخبيثة لزعماء وقيادات العالم الغربي أمام شعوبهم ومطالبتهم بالكف عن تدبير المكائد والمؤامرات ضد العالم الإسلامي من أجل إضعافه، وإثارة عوامل الفرقة والاختلاف بينهم.

ولأن كيدهم سيرتد عليهم (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله). يسلّط هذا الكتاب الضوء على الفكر الوهابي الذي سبَّب توسيع شقّة الخلاف بين المسلمين وأعطى الفرصة لأعداء الأمة الإسلامية تنفيذ مخططاتها الهدّامة التي سيجدها القارىء في ملحق الكتاب تحت مسمى (مذكرات مستر همفر) رجل المخابرات البريطانية في البلاد الإسلامية في القرن الرابع عشر.

سامي المليجي

الوهابية

كان شعار الوهابية الأول هو:

إحياء السنن التي أُميتت والقضاء على البِدع المستحدثة، فإذا بها تتبع نظام الحكم الذي ابتدعه الأمويون، وجعل الإفتاء والشؤون الدينية في ذرية زعيم الدعوة الوهابية محمد بن عبد الوهاب، ويطلق عليهم آل الشيخ.

لقد سبَّبت الوهابية معاناة المسلمين في شتى بقاع الأرض، وأفرزت شرذمة من الشباب، يمارسون الإرهاب على المسلمين وغيرهم، مما جعل العالم وللأسف، يعتقد أن الإسلام يدعو إلى الإرهاب. ولقد تنبأ رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح عن علي رضي الله عنه أنه قال: «يأتي في آخر الزمان قوم سفهاء يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهمُ فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة» [صحيح البخاري (كتاب المناقب)].

الدعوة الوهابية هي من تدبير وصنع المخابرات البريطانية:

صحيح أن هذه الأهداف الخبيثة المعلنة في هذا الكتاب قد تحقَّق معظمها، ولكن لم يخطر ببالهم وقتها الآثار الجانبية المريعة التي ظهرت بعد أكثر من قرنين من الزمان، وهي الإرهاب وكان ذروته ما حدث في الحادي عشر من أيلول 2001.

الفصل الأول

سمات الوهابية:

ـ إضعاف الصلة الروحية بين المسلمين ونبيّهم ﷺ فهم يتعمدون ذكر إسمهِ مجرّداً من كلمة سيد في الوقت الذي يذكرون أسماء ملوكهم وأمرائهم مسبوقة بسلسلة طويلة من الألقاب، فيقولون «محمد بن عبد الله» في حين أن الله نسبَهُ إلى نفسه وقال سبحانه: «محمد رسول الله» والأحاديث النبوية تذكر قوله ﷺ:

ـ أنا سيد ولد آدم ولا فخر.

ـ أنا أول شافع ومشفِّع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي ولا فخر [صحيح البخاري، (كتاب المناقب)].

ـ يدّعِي الوهابية أن الصلاة والتسليم على سيدنا محمد ﷺ في الأذان غير شرعي، وقد أمر محمد بن عبد الوهاب بقتل مؤذن كان رجلاً صالحاً وهو أعمى، لأنه صلى على النبي بعد الأذان.

ـ النهي عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وقد صدر عن هذا الموضوع مؤلفات كثيرة، بيَّنت سخافة هذا الإدعاء في النهي عن الاحتفال بالمولد الشريف، ومن هذه الكتب كتاب للدكتور «**محمد علوي المالكي الحسني**» وهو عالم كبير في الحجاز، وقد أصدرت هذا الكتاب دار «**جوامع الكلم**».

ـ التشديد على تنبيه الحجاج بعدم عقد النية لزيارة القبر الشريف، ولكن يجب عقد النية على زيارة المسجد.

ـ حرمة إرسال الرسائل مع الحجاج والزوّار إلى النبي ﷺ وتحميلهم سلامهم إليه.

ـ حرمة القول عند دخول المدينة: بسم الله وعلى ملَّة رسول الله، رب أدخلني مدخل صدق واجعل لي من لدنك سلطان نصيرا.

ـ حرمة التوسل بالرسول في الدعاء، أو وضع اليد على شباك القبر أو تقبيله أو المس به.

ـ يعتقد الوهابية بأن الرسول غير معصوم مستدلين بدعاء النبي: «**اللهم اغفر لي ذنبي كله....**» [صحيح مسلم].

وهكذا أخذوا النصوص على ظاهرها، ولم يتذكروا أن الرسول اختصه الله سبحانه بخاصيَّة التشريع لأمته إلى جانب مهمة التبليغ وهذه الخاصية لم يعطاها نبيّ غيره.

عدم التزامهم بهدي رسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك، عن الرسول ﷺ قال: «**يَسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**» [صحيح البخاري].

وعن أحد الصحابة قال: أن الخوارج فسَّروا آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين. وقد وصفهم الكثير من العلماء، بأنهم خوارج هذا العصر، فهم لا شاغل لهم إلا تربُّص الأخطاء للمسلمين وتكفيرهم واتهام من يخالفهم بالشرك.

وفي نفس الوقت، يمدحون أهل الشرك والكفر كمشركي قريش الذين حاربوا رسول الله ﷺ ويزعمون أنهم أكثر توحيداً من المسلمين. ويتهمون من يتوسل بالأولياء الصالحين، بأنه مشرك، مع أن صحة التوسل بالأولياء بمقتضى

قول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: 35].

مساهمة هذه الدعوة في خدمة أعداء الإسلام:

عملت هذه الدعوة الوهابية على فرقة المسلمين واشتغلت بتوافه الأمور، وجعلتها قضايا أساسية، مع أن الآيات القرآنية، تأمر المسلمين بعدم الفرقة والاختلاف، فتقول الآية: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: 105]. وهم يدَّعون أنهم يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن هذه المهمة لا تتم إلا بشروط وضوابط، لا يعلمها إلا أهل العلم الأتقياء. وفي الحوار القرآني بين هارون وموسى، يبين لنا كيف أن وحدة الأمة هي الهدف الأعلى والأهم، فيقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: 92 ـ 94]. يُفهم من هذه الآيات أن هارون وهو نبيّ مرسل فضَّل ترك قومه يعبدون العجل مع أنه شرك كبير مخافة أن يتفرقوا.

وهذا ما وصانا به رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة فقال: «**إن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**». **وقال الله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159].

التمسك بالقشور:

يشترط على المرأة التي تتعاقد للعمل في السعودية أن تكون بصحبة محرم، ولكن عندما يتعارض الأمر مع مصالحهم فيسقط الشرط، بدليل أنه لا يشترط وجود محرم مع التي تعمل بالسعودية، وهي تجيء بمفردها للعمل.

الآثار التي هُدمت من قِبَل الوهابية في مكّة المكرمة:

ـ هدم مسجد بُنيَ على موضع وُلد فيه رسول الله ﷺ وكان قد بناه الفاطميون في تلك البقعة المباركة.

ـ هدم قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ وكان قد حُفِر عليه آيات قرآنية بخطٍ كوفي قديم.

ـ هدم مقبرة البقيع، وهي أول مقبرة إسلامية أسسها رسول الله ﷺ كان يذهب إليها ويستغفر للموتى فيها.

ـ وأراد الوهابيون هدم قبَّة قبر الرسول ﷺ ولكن غضب المسلمين منعهم من ذلك، فقد أرسلت وفود من الهند ومصر وإيران تطالب الملك عبد العزيز بعدم هدم القبَّة، ولم يزل الوهابيون حتى الآن يقولون، أن القبَّة مخالفة للشرع، وأن وجود قبر النبي في المسجد أشد إثماً وأعظم مخالفةً!!

ـ وكذلك الألواح الحجريّة على القبور فهي ممنوعة في الشرع السعودي مع أن جميع الشعوب تضع شواهد على قبور موتاها وتكتب أسماءهم كي يُعرف المدفون.

ـ هدم قبور شهداء أحد: مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وغيرهم.

ـ هدم قبر أبي سعيد الخدري، ومشهد إسماعيل بن جعفر الصادق، ومشهد محمد النفس الزكية.

الفصل الثاني

لقد فسَّر الوهابيون الآيات القرآنية على ظاهرها وجعلوا من الآيات المتشابهات آيات محكمات:

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: 7].

ـــ ينسبون إلى الله الجلوس والقعود:

في المجلد الرابع في كتاب «**مجموع الفتاوى**» لابن تيمية الحرّاني الذي يعتبره الوهابية إمامهم فيقول ما نصّه: إن محمد رسول الله يُجلسه ربُّه على العرش معه، ولفظة الجلوس لم يرد ذكرها لا في القرآن ولا في الأحاديث النبويَّة، إنما هي بدع من ابن تيمية وأتباعه.

ويقول الدارمي صاحب كتاب السنن: إن كرسيّه وسع السماوات والأرض، وإنه ليقعد عليه فما يبقى منه إلا قدر أربع أصابع.

وهذا الكتاب يعتمده الوهابية، وفي نفس الكتاب (ص58) يقول الدارمي: وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزّته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم، حتى لُقِّنوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ـ وفي كتاب «**معارج القبول**» تأليف حافظ الحكمي، يقول عن النبي: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماء كرسيّ، فإذا نزل على السماء الدنيا، جلس على كرسيه، ثم مدَّ ساعديه، فإذا كان الصبح ارتفع فجلس على كرسيّه.

ـ ويقول ابن قتيبة: قرأت في التوراة أن الله قال: نخلق بشراً بصورتنا.

ـ ويقول «التويجري» في كتاب «**عقيدة أهل الإيمان**» أن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الله.

ـ ويقول الدارمي: كل شيء هالك إلا وجه نفسه الذي هو أحسن الوجوه.

ـ ويقول ابن تيمية: في كتاب «**مجموع الفتاوى**» إن القرآن كلام الله، وقد تكلَّم بحرف وصوت.

ـ وفي كتاب «**الأسماء والصفات**» لابن تيمية يقول: لمّا سمع موسى كلام الله، قال: يا ربِّ الكلام الذي أسمعه هو كلامك؟

قال: نعم يا موسى هو كلامي وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان.

ـ وفي كتاب «**طبقات الحنابلة**» وكلَّم الله تكليماً، يعني من فمه وناوله التوراة من يده إلى يده.

ـ ويقول الدارمي: إن الله يعلم الألسنة كلها ويتكلم بما شاء منها، إن شاء تكلَّم بالعربية، وإن شاء تكلَّم بالعبرية أو السريانية.

ـ وعن ميسرة قال: إن الله خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده.

ـ وفي كتاب لابن خريمة «**كتاب التوحيد**» يقول المعلِّق على الكتاب: إن يد الله تكون فوق أيدي المبايعين لرسوله، ولا شك أن المبايعة، إنما تكون بالأيدي لا بالنعمة والقدرة.

ـ وفي كتاب «**فتاوى العقيدة**» يقول محمد بن صالح العثيمين: على كل حال فإن يديه سبحانه اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى.

ـ وفي نفس الكتاب يقول محمد صالح العثيمين: إن الله يأتي إتياناً حقيقيّاً للفصل بين عباده يوم القيامة، ثم قال: وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله يأتي هرولة، ويقول: ونؤمن بأن لله عينين اثنتين حقيقيتين.

الوهابية يعبدون شخصاً يزعمون أنه الله ويقولون أن له وجه حقيقي وفم ولسان وله يمين وشمال، وأنه يمشي ولا مانع أن يهرول، وله نزول وصعود، وجلوس على العرش، ويصفون له جوارح، كالكف والأصابع والذراع والساعد.

أما المسلمون جميعاً، يعتقدون أن الله موجود بلا مكان ولا جهة ولا كيف.

الفصل الثالث

نشأة الوهابية

عندما تولى «محمد بن سعد» إمارة الدرعية سنة 1139هـ كانت أوضاع نجد كافة تحتاج إلى إصلاح.

كان في كل بلد أمير، وفي كل ناحية حاكم، إضافة إلى الغارات التي يقوم بها البدو، وتسلط القبائل وشيوخها على الحضر. وقد استغلّت الحركة الوهابية هذه الأجواء، ولكن محمد بن الوهاب التميمي لم يظهر دعوته لأن أبوه كان عالماً ورافضاً لهذه الدعوة، ولما توفي الوالد أعلن الشيخ رأيه وبدأ يدعو الناس، وخرجت دعوته إلى خارج المنطقة بين منتقد ومشجِّع، ووصلت الأخبار إلى الاحساء، فخاف منه الأمير «سليمان بن محمد غرير» حاكم المنطقة وكتب إلى عثمان بن معمر، حاكم العيينة أن يترك نصرة الشيخ ودعاه أن يقتله، فانتقل محمد بن الوهاب إلى الدرعية وكان أميرها «محمد بن سعود» فاستقبله ووعده بالمساعدة، وابتدأ النشاط وصارت الجيوش تنشر الدعوة الوهابية في كل الاتجاهات.

وكان قائد هذه الجيوش «عبد العزيز بن محمد بن سعود» وبعد أن توفي محمد بن سعود، تولى عبد العزيز ابنه، واستطاع أن يفتح الرياض والإحساء ومكّة والطائف بعد حروب طويلة مع الشريف غالب ابن مساعد، شريف مكّة.

ثم غزا عبد العزيز سعود جنوبي العراق وهدم قبر الحسين وأخذ الكنوز التي

كانت في الضريح وهذا ما دعا إلى قدوم أحد الشيعة إلى الدرعية وطعن عبد العزيز وهو يؤدي الصلاة مما أدى إلى موته.

كان ابنه سعود قائد جيوش الدرعية، وكان محمد بن الوهاب قد توفي 1206هـ، وقد حاول سعود أن يغزو جنوب العراق مرّة ثانية ولكنه عجز عن فتح البصرة والزبير، وغزا الحجاز وكان أميرها عبد الوهاب بن عامر، فطلب الصلح مع سعود على شروط معينة، ثم قام بغزو أطراف الشام، ثم توجه نحو عُمان، وخاف سلطان مسقط سلطان بن أحمد على نفسه من السعوديين فذهب إلى البصرة ليتفق مع والي بغداد من قِبل السلطان العثماني ضد سعود وقد تم ذلك واعترف سلطان مسقط بسيادة الدولة العثمانية على ممتلكاته في الجزيرة العربية وشرقي افريقية لقاء حمايته من أعدائه، ولكن الحكومة الإنكليزية قتلته في طريق عودته إلى بلاده،. ثم حدث قتال بين السعوديين، فطلبت عُمان المبايعة على السمع والطاعة وأصبحت تحت ولاية السعوديين.

ودخلت المنطقة الشرقية في طاعة آل سعود عام 1208هـ وكان أهلها يحاولون الإنفصال، ثم دخل السعوديون جنوب العراق وهدموا قبر الحسين، وهكذا دانت لهم أكثر الجزيرة العربية ولم يبق سوى جزيرة البحرين وبعض مراكز النفوذ الإنكليزي.

الفصل الرابع

محمد بن عبد الوهاب

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي بقرية العيينة من بلاد نجد سنة 1703م وتوفي 1792م ويكون بهذا عمره قد تجاوز التسعين، نشأ في بيئة تفشا فيها الشرك.

لم يتمكن الشيخ مواصلة تعليمه على يد أحد العلماء لشدّة انتقاده لأمّة المسلمين وجرأته على الفتوى، وكان يصف بالشرك أهل الحجاز، وأنهم كانوا ينكرون البعث، مما أثار أباه عليه فطرده وأخذ يحذّر الناس منه، وكان قد نهاه عن إظهار عقائده، ولكنه بعد وفاة أبيه أظهر عقائده، وتولّى أخوه سليمان بالردّ عليه فألَّف كتابين يفنِّد فيهما مزاعمه. ولكن كان للبيئة النجدية الغارقة في الجهل التي عاش فيها، أثر في تقبل هذه العقيدة وكان مستواه التعليمي لا يرقى إلى مستوى العلماء لأنه لم يكمل تعليمه.

وكان له منهج ثوري على كل شيء لا يتطابق ما آمن به، ويرمي الناس بالشرك لأتفه الأسباب، ويستحل دماءهم وأموالهم ولم يكن بين فكره وفكر الخوارج ثمة فرق كبير. وتحالف الشيخ محمد عبد الوهاب مع أمير العيينه (عثمان بن حمد بن معمر) وقال له: إن نصرتني ملكت نجد، وقبل عثمان ولكن ما لبث أن طرده.

التجأ بعد طرده من العيينه إلى أمير الدرعية محمد بن سعود فتبايعا على أن تكون السلطة السياسية لمحمد بن سعود والسلطة الدينية لابن عبد الوهاب.

وجوب الهجرة إليه:

الزم محمد بن عبد الوهاب على كل من يريد الدخول في مذهبهِ عليه أن يهاجر إليه في نجد، وهذه بدعة لم يسبقه إليه، سوى نافع بن الأزرق وهو زعيم الخوارج، وأوّل من بيَّن فساد رأيه، هو أخوه سليمان بن عبد الوهاب في كتابه «**الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية**» وشرح له حديث: «لا هجرة بعد الفتح».

كان محمد بن عبد الوهاب ينهي عن الصلاة على النبي ﷺ ويتأذى من سماعها، ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى أنه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً ذا صوت حسن وقد صلى على النبي وآله بعد الأذان، فأمر بقتله فقُتل.

وكان يقول إن الزانية أقل إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي وآله، مدَّعياً أن ذلك كله محافظة على التوحيد.

ـ هجم محمد بن عبد الوهاب على بلدته الأصلية العيينه فدمَّرها وجعلها قاعاً صفصفاً، واغتال حاكمها عثمان بن حمد بن معمر في مصلاه في المسجد يوم الجمعة وسمّاه مشركاً وقتل رجالها كلّهم وهدم بيوتها وأحرق أشجارها وقطع نخيلها، واستولى على النساء والحيوانات، وتركها خراباً، وحرَّم بناءها وسكنها منذ مائتي سنة.

ـ وكان يتطاول وينتقد المقام النبوي، فيقول: نظرت في صلح الحديبية فوجدت بها كذا وكذا من الأخطاء.

وكان قومه يقولون مثل قوله في حضرته، وليس من الغرابة أنه كان يدّعي النبوَّة وإن لم يُجاهر بها.

ـ كان يمنع أصحابه من مطالعة كتب التفسير والفقه والحديث ويحرفها، وينكر علم النحو واللغة ويقول: إن ذلك بدعة.

ـ وإن أراد أن يدخل أحد دينه يقول له: إشهد على نفسك أنك كافر وأن والديك ماتا كافرين واشهد أن فلان وفلان من أكابر العلماء الماضين أنهم كفار، فإن شهدوا قبلهم وإن لم يشهدوا قتلهم.

ـ كان يكفِّر كلّ من لا يتبعه، وإن كان من أتقى الناس، ويسميهم مشركين، ويستحلّ دماءهم وأموالهم، ويشهد بالإيمان لمن اتبعه ولو كان فاسقاً.

عقيدته:

من أهم الأمور التي يعتقد بها:

1 ـ تجسيم الله وتشبيهه في خلقه

2 ـ محاربة التوسُّل بالنبيّ وزيارته

3 ـ تكفير المسلمين ورميهم بالشرك

4 ـ استحلال دم المخالفين

5 ـ وجوب الهجرة إليه

علمه:

لا يوجد للشيخ مؤلف واحد في العلم، إنما كتيّبات مليئة بالجهل والأحاديث الضعيفة.

قال له أخوه سليمان يوماً: كم هي أركان الإسلام يا محمد؟ قال: خمسة، فقال له سليمان: أنت جعلتها ستّة والركن السادس: من لم يتّبعك فليس بمسلم.

وقال عنه مفتي الحنابلة: إن محمد بن عبد الوهاب صاحب دعوة نشرت الشرَّ في الآفاق.

وقال عنه أخوه سليمان: إذا خالفه أحد ولم يقدر على قتله جهراً، يرسل إليه من يغتاله في فراشه، أو في السوق ليلاً.

ـ وقال أخوه سليمان؛ كيف له أن يتعلم أو يتفقّه في الدين، وكيف يمكن أن يُفلح وقد أغضب والده الصالح؟

ـ وقال الكثير من العلماء: إن عقيدته زائفة ولكن انخدع به أتباعه حيّاً بعد حي، حتى استفحل أمره فخافته البادية، وقد ردَّ عليه الكثير من أتباع المذاهب الأربعة وعلى مقلديه بمؤلفات كثيرة.

الفصل الخامس

مخالفة الوهابية لجمهور الأمّة الإسلامية:

يقول الشيخ «أحمد بن دحلان المكي» الشافعي وهو فقيه ومؤرخ ومفتي الشافعية في مكّة المكرّمة، وله مؤلفات كثيرة مطبوعة ومتداولة منها:

(الدرر السنيَّة في الردّ على الوهابية) قال فيه: زعم محمد بن عبد الوهاب، أن المذهب الذي ابتدعه هو الإخلاص للتوحيد والتبرّي من الشرك، ولقد حمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: 5] وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ. . . .﴾ [يونس: 106] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة.

ـ ويقول محمد بن عبد الوهاب، أن من استغاث بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين، أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه مثل هؤلاء المشركين.

ـ وممّن ردّ عليه: الشيخ «محمد بن سليمان الكردي» فقال له: يا بن عبد الوهاب إني أنصحك أن تكفَّ لسانك عن المسلمين، فإن سمعت من شخص أنه يستغيث بشخص من دون الله، فعرِّفه الصواب، واذكر له الأدلّة على أن لا تأثير لغير الله فإن أبى فكفّره.

ـ وأما زيارة النبي ﷺ فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم السلف، وجاء في فضلها أحاديث كثيرة.

ـ وكان النبي ﷺ إذا زار القبور قال: السلام عليكم يا أهل القبور، وفي التشهد في كل صلاة ينادي كل مسلم: السلام عليك أيها النبي.

إن إسناد أي عمل لغير الله، لا يضرّ إلا إذا اعتقد التأثير من دون الله، وهو مجاز عقلي، كقول أحدهم نفعني هذا الدواء، وأشبعني هذا الطعام وأشفاني هذا الولي.

ما قاله أخو محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الوهاب:

وله كتاب اسمه «**الصواعق الإلهية في الردّ على الوهابية**» يقول: إنكم تكفّرون من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحجَّ البيت مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله ملتزماً لجميع شعائر الإسلام وتجعلونهم كفّاراً، وتعتبرون بلادهم بلاد حرب ونحن نسألكم: من إمامكم في ذلك؟ وممّن أخذتم هذا المذهب؟ لقد خرجتم عن إجماع الأمَّة، ولا يجوز لكم استنباط الأحكام، والمطلوب منكم الرجوع إلى كلام أهل العلم والوقوف عند الحدود التي حدّوها وهم لم يقولوا أن من طلب من غير الله أنه مرتد، ولم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتد، وقد أجريتم الكفر والردَّة على أمصار المسلمين وغيرها، وكلُّهم عندكم مشركون، وقد خرجوا عن الملَّة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ملحق الكتاب

مذكرات مستر همفر (رجل المخابرات البريطانية في البلاد الإسلامية):

الباب الأول

يقول همفر:

ـ من أجل إبقاء السيطرة على ما تمَّ السيطرة عليه، ومن أجل ضم ما لم تتم السيطرة عليه فعلاً، خصَّصت وزارة المستعمرات البريطانية لكل قسم من أقسام هذه البلاد، لجاناً خاصّة لأجل دراسة هذه المهمّة، وكنت أنا موضع ثقة الوزير، وقد عهد إليّ بمهمة (شركة الهند الشرقية) التي كانت مهمتها في الظاهر تجاريّة بحته، وفي الباطن، سبل السيطرة على الهند، وكانت الحكومة البريطانية واثقة بقدرتها للسيطرة على الهند، حيث القوميات مختلفة والأديان مشتتة، واللغات متباينة، والمصالح متضاربة.

ـ كما كانت الحكومة البريطانية واثقة من السيطرة على الصين، حيث البوذية والكونفوشيسية الغالبة على هذه البلاد، ولم تكن تخشى من قيامهما لأنهما دينان ميّتان يهتمان بجانب الروح، ولا صلة لهما بجانب الحياة.

ـ كنا نضع الخطط من أجل المستقبل، وهي خطط طويلة الأمد، لأجل السيطرة عن طريق التفرقة والجهل والفقر وأحياناً المرض على هذه البلاد. وكنا لا نجد صعوبة في تغطية نوايانا بغطاء من المظاهر الكاذبة، بأننا نريد مصلحة البلاد، ونطبق المثل البوذي القديم الذي يقول: (دع المريض يشعر بحبَّةٍ للدواء وإن كان مرُّ المذاق).

ـ وعقدنا معاهدات مع دولة الخلافة الإسلامية، مع أن الخبراء في وزارة المستعمرات كانوا يعلمون، أن الرجل المريض يلفظ أنفاسه الأخيرة (أي الدولة العثمانية) وعقدنا مع حكومة الفرس سرّاً عدَّة معاهدات، وكنا قد زرعنا الجواسيس والعملاء في هذين البلدين (الدولة العثمانية ودولة الفرس). وكانت تعم هذه البلاد الرشوة وفساد الإدارة وانشغال ملوكها بالنساء الحسناوات.

أسباب تخوِّف بريطانيا وهي:

1 ـ قوَّة الإسلام في نفوس أبنائه، وكنت ترى الإسلام في نفس المسلم بمنزلة المسيحية في نفوس القساوسة والرهبان.

ـ ونقول حقيقة أن الإسلام كان ذات يوم دين حياة وسيطرة، ومن الصعب أن تعاملهم كالعبيد، لأن نخوة السيادة يشعرون بها مهما كان ضعفهم.

ـ وكنا قلقين من علماء المسلمين، من علماء الأزهر وعلماء العراق وعلماء فارس كان يشكِّلون سدّاً أمام طموحاتنا، وكانوا يجهلون الحياة العصرية، وقد وضعوا نصب أعينهم الجنَّة التي وعدهم بها القرآن، فكانوا لا يتنازلون قيد شعره عن مبادئهم، وكان الشعب يتبعهم والسلطان يخشاهم، خوف الفئران من الهرَّة.

مؤتمرات لإزالة أسباب التخوّف:

لقد عقدنا مؤتمرات كثيرة للبحث عن حلول كافية لهذه المشاكل المقلقة. وكانت التقارير تأتينا بانتظام من العملاء والجواسيس مخيّبة للآمال، وكانت نتائج المؤتمرات صفراً. ولكن لم ندع المجال لليأس فينا، حيث عوَّدنا أنفسنا على النفَس الطويل والصبر اللامتناهي.

كان عددنا عشرون شخصاً، وطال النقاش أكثر من ثلاث ساعات، وانتهينا بدون نتيجة إلا أن القسيس قال: لا تنزعجوا فإن المسيح لم يصل إلى الحكم إلا بعد ثلاثمائة سنة من الإضطهاد والتشريد والقتل له ولأتباعه، وعسى أن ينظر إلينا المسيح نظرةً ملكوتية فيمنحنا إزالة الكفّار عن مراكزهم ولو بعد ثلاثمائة سنة، فعلينا أن نتسلح بالإيمان والصبر واتخاذ كل الوسائل للسيطرة ونشر المسيحية في ربوع المسلمين ولو بعد قرون.

ـ وعقد في الوزارة مؤتمر حضره ممثلون عن بريطانيا وروسيا وفرنسا ورجال دين وقد حضرت في هذا المؤتمر، وقد حاولوا إيجاد سبل لتمزيق المسلمين، وسلخهم عن عقيدتهم وإرجاعهم إلى حظيرة الإيمان، كما رجعت أسبانيا من غزو المسلمين البرابرة لها، وقد كتبت كل ما دار من نقاش في هذا المؤتمر وكتبت في البداية: إلى ملكوت المسيح، إنه من الصعب أن تقلع شجرة امتدت عروقها إلى شرق الأرض وغربها، ولكن علينا أن نذلّل الصعاب، إن المسيحية لم تأتِ إلا لتنشر، وقد وعدنا بذلك السيد المسيح.

أما محمد فقد ساعده انحطاط العالم الشرقي والغربي، وظروف الإنحطاط قد ولّت، وآن لنا أن نطلب الثأر ونسترجع ما فقدناه طيلة قرون. وها هي بريطانيا، دولة عصرية تأخذ بزمام المبادرة (يعني محو الإسلام).

الباب الثاني

مستر همفر مبعوث المخابرات البريطانية لبعض بلاد المسلمين:

يقول همفر:

أوفدتني وزارة المستعمرات سنة 1710م إلى كل من مصر والعراق وطهران والحجاز والأستانة، لأجمع معلومات كافية تعزّز سبل تمزيقنا للمسلمين، ونشر السيطرة على بلاد الإسلام، كنا عشرة أشخاص من خير الموظفين لدى الوزارة،

وقد زوّدتنا الوزارة بالمال الكافي والمعلومات اللازمة والخرائط وأسماء الحكام والعلماء ورؤساء القبائل.

ـ أبحرت إلى الأستانة مركز الخلافة الإسلامية وكانت مهمتي مزدوجة، وكان من المفروض أن أكمل تعلُّمي للتركية والعربية والفارسية وقد كنت قد بدأت بتعلّم هذه اللغات في لندن ولكن اللغة شيء والسيطرة عليها والتكلم بمثل لغة أهل البلاد شيء آخر، فالمرحلة الأولى لا تستغرق سوى سنوات قليلة، أما المرحلة الثانية فتحتاج إلى أضعاف ذلك الوقت.

لم أكن قلقاً لأني كنت أعلم بأن المسلمين عندهم تسامح ورحابة صدر وحسن ظن كما علّمهم نبيّهم، وليس لديهم شكوك بالزائر إليهم كما عندنا، ومن جهة أخرى فقد كانت الحكومة العثمانية آخذة في الضعف والهزال.

مستر همفر يدّعي الإسلام:

يقول همفر: بعد سفرة طويلة ومضنية وصلت إلى الأستانة، وسميّت نفسي محمد وصرت أحضر المسجد، وراقني النظام والنظافة والطاعة التي وجدتها عندهم، وقلت في نفسي: لماذا نحارب هؤلاء البشر، ونعمل على تمزيقهم وسلب نعمتهم؟ هل أوصانا المسيح بذلك؟

ولكني راجعت نفسي فوراً، وقررت أن أكمل مهمتي. فالتقيت هناك بعالم كبير في السن اسمه (أحمد أفندم) وكان هذا الرجل طيب النفس، صافي الضمير يحب الخير، ما لم أجده في أحسن رجال ديننا.

كان هذا الشيخ يحاول ليله ونهاره أن يتشبه بالنبي محمد، وكلَّما ذكره فاضت عيناه بالدموع، ومن حسن الحظ أنه لم يسألني عن أصلي ونسبي، وكان يخاطبني (محمد أفندي) ويجيبني عن كل ما أسأله، ويحنو عليَّ حنواً كبيراً، لأنني ضيف في بلادهم.

وكان يقول لي: أنت تعيش في ظل السلطان الذي يمثل النبي محمد.

قلت للشيخ: إني شاب قد مات أبي وأمي وليس لي إخوةٌ وقد تركوا لي شيئاً من المال وإني أريد أن أتعلم القرآن والسنَّة، فرحَّب بي الشيخ كثيراً وقال: إن من الواجب أن نحترمك لأن الرسول كان يوصي بإكرام الضيف وخاصة إذا كان طالب علم، فتعجبت وقلت في نفسي: يا ليت المسيحية تعي مثل هذه الحقائق، ولكني تعجبت من الضعف والإنحطاط الذي أصاب المسلمين على أيدي هؤلاء الحكام المغرورين والجهلة.

تعلُّم القرآن وممارسة الوضوء والصلاة:

ـ تعلَّمت القرآن خلال سنتين ولكن بمشقة كبيرة، وتعلمت الوضوء والصلاة، وكيف نتَّجه إلى القِبلة أثناء الصلاة.

ـ الوضوء عند المسلمين هو جملة من الأغسال فهم يغسلون الوجه، ثم اليد اليمنى من الأصابع إلى المرفق، وثالثاً اليد اليسرى من الأصابع إلى المرفق أيضاً، ورابعاً يمسحون الرأس وخلف الأذنين والرقبة، وخامساً يغسلون الرجلين.

ويقولون: الأفضل أن يدير الشخص الماء في فمه، وأن يسحب الماء إلى الأعلى في أنفه قبل البدء بالوضوء.

ـــ استعمال السواك:

وقد كنت أنزعج من السواك، وهو عودةً يدخلونها في أفواههم لتنظيف الأسنان قبل الوضوء، لكن كنت مجبوراً أن أفعل ذلك لأنها عندهم سُنّةٌ مؤكدة أوصى بها النبي، ويذكرون أن لها فضائل كثيرة.

عودة همفر إلى لندن وأحوال بقية المبعوثين:

كان الرفاق التسعة الآخرون، قد تلقوا الأوامر من الوزارة بالعودة إلى لندن، ولكن لسوء الحظ لم يرجع إلا ستّة، أما الأربعة الآخرون، فقد صار أحدهم مسلماً وبقي في مصر ولم يفشِ السرّ، واالتحق أحدهم بروسيا، وهو من أصل روسي وظنّوا أنه كان جاسوساً من قبل الروس في وزارة المستعمرات، ولما

انتهت مهمته، رجع إلى بلاده، والثالث مات في بلدة العمارة في العراق على أثر وباء اجتاح البلاد. أما الرابع فلم يعلم مصيره، فقد انقطعت أخباره بعد أن وصل إلى صنعاء.

العودة إلى لندن:

عدنا إلى لندن واجتمعنا مع الوزير وقدَّمنا تقاريرنا وكانت درجتي الثالثة من حيث جودة العمل، وقد لفت نظري السكرتير وقال: إنك أحرزت نجاحاً باهراً، ولكن هناك نقطة ضعف في عملك، وهي: لم تبذل الجهد الكافي لتعرف ما هي نقاط الضعف في الدولة العثمانية.

ولكني وعدته أن أهتم بهذه المسألة في السفرة القادمة.

مهمة مستر همفر تنحصر في هدفين وهما:

1 ـ إيجاد نقاط الضعف عند المسلمين، والتي نتمكن بواسطتها أن ندخل إلى جسمهم ونبدِّد أوصالهم لأنهم أعدائنا.

بعد ذلك ذهبت إلى البصرة في العراق، وهو بلد عشائري وأهله مختلطون سنة وشيعة وعرب وفرس، وفيهم قلَّة من المسيحيين. ولأول مرّة التقي بالشيعة وبالفرس، وقد علمت أن الشيعة ينتسبون إلى علي بن أبي طالب وهو صهر نبيهم وابن عمه، وتقول الشيعة أن الرسول عيَّن عليّاً خليفة لهم وأن أولاده من بعده أحد عشر خليفة، وأنا أظن أن الحق مع الشيعة في خلافة عليّ والحسن والحسين، لأنه حسب مطالعاتي، أن عليّاً كان يمتاز بصفات تؤهله للقيادة، وأن الرسول قال: «**الحسن والحسين إمامان**» وهذا ما لا ينكره السنّة، ولكني أشك في نفس الوقت أن يكون أولاد الحسين التسعة أيضاً قد عيّنهم الرسول خلفاء له، إذ كيف يعلم محمد المستقبل، وقد مات والحسين ما زال طفلاً، وقد يكون يعلم بإرشادٍ من الله، كما كان المسيح يُخبر عن المستقبل، ولكن نبوَّة محمد مشكوك فيها عند المسيحيين.

إنني متحيّر في أمر محمد، إذ أن رجلاً بدوياً لا يقرأ ولا يكتب، كيف يمكنه أن يأتي بهذا الكتاب الرفيع المستوى، حتى من التوراة والإنجيل.

وهو صحيح أنه شديد الذكاء، وصاحب أخلاق عظيمة، وقد سألت مرّةً أحد القساوسة عن هذا الأمر فلم يرد بجواب مقنع وإنما تكلّم بتعصُّب على أي حال، فإني أقدّر محمداً تقديراً كبيراً، وإنه بلا شك كان من طراز أنبياء الله الذين نقرأ عنهم بالكتب، لكنني غير مقتنع حتى الآن بنبوته، وحتى لو فرضنا أنه لم يكن نبيّاً، فلا يستطيع أحد ممّن يحترم ضميره، أن يقول: إن محمد مثل بقيّة العباقرة، فهو لا شك أرفع وأذكى بكثير.

همفر يلقي الفتنة بين السنّة والشيعة:

يقول: إن أهل السنّة يقولون أن أبا بكر ثم عمر ثم عثمان، هم الأصلح للخلافة من عليّ، ولذلك تركوا ما قاله محمد، واتخذوا من هؤلاء خلفاء الرسول.

إن مثل هذا الخلاف، موجود في كل دين وفي المسيحية بصورة خاصة، لكني لم أعلم ما هو المبرّر لبقاء هذا النزاع، وقد مات عليّ ومات عمر. ولكن مهمتي أن أتعرّف إلى هذه الخلافات وأعمل على تفجير النزاع بينهم خدمةً لبريطانيا العظمى. لأننا نحن البريطانيون لا يمكننا العيش برفاه إلا بإلقاء الفتن بين المسلمين، وبأن نثير الشعوب ضد حكامها، فإن تفرّقوا ضعفوا وسهل استعمارنا لهم، وانتصرت المسيحية في نهاية الأمر.

الباب الثالث

ابن عبد الوهاب ضالّة مستر همفر

كيف تعرّف مستر همفر على ابن عبد الوهاب:

ـ في البصرة تعرّفت على شاب كان يعرف اللغات الثلاث: العربية والتركية والفارسية، وهو طالب من طلبة العلوم الدينية، واسمه محمد بن عبد الوهاب، وكان شاباً طموحاً ولكنه عصبيّ المزاج ناقماً على الدولة العثمانية، وكان الناس في البصرة يلتقون ببعضهم، سني وشيعي وكأنهما إخوة.

كان محمد عبد الوهاب لا يتعصب ضد الشيعة، مع أن جماعة من أهل السنّة كانوا يكفّرون الشيعة، كما أنه لم يكن يؤمن بالمذاهب الأربعة المتداولة بين أهل السنة، وقصة المذاهب الأربعة هي:

ـ هي أن أهل السنّة بعد أكثر من قرن من وفاة النبي، نبغ فيهم أربعة علماء هم: (أبو حنيفة، أحمد بن حنبل، ومالك، ومحمد بن إدريس الشافعي) وألزمهم الخلفاء بأن يقلّدوا هؤلاء الأربعة وليس لغيرهم من العلماء أن يجتهد في القرآن والسنة، وغُلق باب الاجتهاد وسبّب لهم الجمود.

ـ ولكن الشيعة استطاعوا أن ينشروا مذهبهم على أوسع نطاق، فقد كان الشيعة لا يساوون عُشر عدد السنّة، أخذ عددهم في ازدياد، ومن الطبيعي أن يكون ذلك لأن الاجتهاد هو تطوير في فقه الإسلام وتجديد لفهم القرآن والسنّة، حسب حاجة الزمان، وإني أظن أنه سيأتي يوم قريب يفتح عقلاء السنّة باب الاجتهاد، وإلا أبشرهم بأن لا تمضي قرون إلا وتكون السنّة أقلية وتكون الشيعة أكثرية.

ابن عبد الوهاب يضرب بآراء الصحابة والمذاهب

ـ كان محمد بن عبد الوهاب لا يتبع أحداً من المذاهب، بل يتّبع نفسه، ويضرب بعرض الحائط آراء الخلفاء والأئمة. وقد جرى في أحد المرات حوار بينه وبين أحد علماء فارس، وكنت حاضراً، اسمه الشيخ جواد القميّ وهو عالم شيعي، وقد حفظت بعض ما قيل فيه:

قال له القميّ: إذا كنت متحرراً ومجتهداً كما تدَّعي، فلماذا لا تتّبع عليّاً كالشيعة؟

قال محمد: لأن علي مثل عمر وغيره، ليس قوله حجَّة، وإنما الحجّة هما الكتاب والسنّة فقال القميّ: ألم يقل رسول الله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». إذاً قد فرَّق بين عليّ وباقي الصحابة.

قال محمد: لم يقل الرسول كتاب الله وعلي بن أبي طالب.

قال القمي: بل قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وعليّ هو سيد العترة.

أنكر محمد بن الوهاب أن يكون الرسول قد قال ذلك، لكن الشيخ القميّ جاء إليه بأدلَّة مقنعة حتى سكت محمد ولم يجد جواباً، ثم قال: إذا قال الرسول كتاب الله وعترتي فأين سنّة الرسول؟

قال القمي: سنة الرسول، هي شرح القرآن، وشرحه هو السنّة، وإن من يشرح القرآن هم العترة. وقد أُعجبت بأجوبة القمي، ورأيت أن هذا الشاب كان مع الشيخ كالعصفور في يد الصياد لا يمكنه التحرك.

ابن عبد الوهاب صيد مستر همفر

يقول مستر همفر: لقد وجدت ضالتي المنشودة فإن هذا الشاب الذي لا يهتم بالخلفاء الأربعة ولا بالأئمة الأربعة، وإنما يفهم القرآن والسنَّة على هواه، هي أكبر نقطة ضعف عنده، يمكنني أن أتسلل منها إلى نفسه. وأين هذا الشاب من ذلك الشيخ التركي الثابت على دينه كالجبل لا يحركه شيء. فكان الشيخ محمد بن الوهاب يقول: إن نصف كتاب البخاري هو باطل.

وقد استطعت أن أعقد أقوى الصلات بيني وبينه، وكنت أنفخ فيه باستمرار، وأبيّن له أنه أكثر فهماً من عليّ وعمر، وأن الرسول لو كان حاضراً لاختارك خليفة، وكنت أقول له: آمل أن يكون تجديد الإسلام على يدك فإنك المنقذ الذي يُرجى منه انتشال الإسلام من السقوط.

ـ وقررت أن أناقش في تفسير القرآن على ضوء أفكارنا الخاصّة، وكنا نقرأ القرآن ونتكلم عن نقاط وهو يسترسل في قبول آرائي ليظهر نفسه بمظهر المتحرّر وليجلب ثقتي أكثر فأكثر.

ـ قلت له ذات مرّة: إن الجهاد ليس واجباً، قال: وكيف وقد قال الله جاهدوا الكفار.

قلت: قال: (جاهدوا الكفار والمنافقين) فإذا كان الجهاد واجباً فلما الرسول لم يجاهد المنافقين؟ قال: جاهَدَهم الرسول بلسانه، قلت إذاً فجهاد الكفّار يجوز باللسان، قال: ولكن الرسول حارب الكفار، قلت: حارب الكفار دفاعاً عن النفس لأن الكفّار أرادوا قتل الرسول فدفعهم، فهزّ رأسه علامة الرضى.

الصوم:

وقلت للشيخ يقول القرآن: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 184] ولم يقل إنه واجب. ثم أكملت بأن الدين هو صفاء القلب، وسلامة الروح وعدم الاعتداء على الآخرين.

الصلاة:

وقلت له أن الصلاة غير واجبة، لأن القرآن يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: 14] فالمقصود هو ذكر الله تعالى، فلك أن تذكر الله عِوضاً عن الصلاة.

وقد استجاب لهذا الكلام، وهكذا أخذت أسحب رداء الإيمان عن عاتق الشيخ شيئاً فشيئاً، وحاولت مرّة أن أتكلّم عن الرسول لكنه صمد في وجهي، وقال: إن تكلمت بعد ذلك حول هذا الموضوع قطعت علاقتي بك. وخشيت أن ينهار كل ما بنيته، من أجل ذلك حجمت عن الكلام حول الرسول. وكت أكتب بالنتائج إلى الوزارة كل شهر مرّة كما كانت عادتي، وكان الجواب يأتيني بالتشجيع الكافي. وفي إحدى المرات، لفّقت له حلماً، وهو أني رأيته البارحة، والرسول يجلس على كرسي وحوله جماعة من العلماء لم أعرف أحداً منهم، وإذ بي أراك ووجهك يشرق نوراً، فلما وصلت قام الرسول إجلالاً لك وقبلّ بين

عينيك وقال لك: يا محمد أنت سميي ووارث علمي والقائم مقامي في إدارة شؤونه الدنيا والدين. فلما سمع بالمنام كاد يطير فرحاً، وكان يسألني، هل أنت صادق في رؤياك؟ وكنت أجيبه بالإيجاب حتى اطمأن، وأظن أنه في ذلك اليوم صمّم أن يُظهر أمره ويؤسس مذهب جديد.

توجُّه مستر همفر إلى النجف وكربلاء:

يقول: في هذه الأيام جاءتني الأوامر من لندن، أن أتوجّه إلى كربلاء والنجف مهوى قلوب المسلمين الشيعة ومركز علمهم وروحانيتهم ولهذين البلدين قصّة طويلة:

النجف: تبتدأ قصّة النجف من يوم دفن الخليفة الرابع عند أهل السنّة والخليفة الأول عند الشيعة وهو عليّ بن أبي طالب، والنجف تبعد عن الكوفة مسيرة ساعة على القدمين، وهي كانت مقرُّ خلافة عليّ عليه السلام ولما قتل دفنه ولداه الحسن والحسين في الكوفة في المكان الذي يسمّى النجف، ثم أخذت النجف تزدهر، بينما أخذت الكوفة في الخراب، واجتمع فيها عدد من العلماء، وصار فيها بيوت وأسواق ومدارس، وهي اليوم مركز لعلماء الشيعة. والخليفة في الأستانة يهابهم، ويحترم جانبهم لعدة أمور:

1 ـ لأن حكومة الشيعة في فارس تساندهم، وإذا مسَّ الخليفة كرامتهم توترت العلاقة بين الحكومتين، وأحياناً تصل إلى حد الحرب.

2 ـ لأن العشائر الكثيرة حول النجف تساند العلماء، وهي مسلَّحة.

3 ـ ولأن علماء الشيعة في النجف، هم مراجع لكل المسلمين الشيعة في العالم من الهند وأفريقيا وغيرهما.

معلومات عن كربلاء

أما قصة كربلاء، فهي تبتدأ منذ قتل فيها سبط رسول الله الحسين بن عليّ، وهو ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقد دعا أهل العراق الحسين ليأتيهم

من المدينة في الحجاز ليتخذوه خليفة، لكنه لما وصل هو وأهل بيته إلى كربلاء القريبة من الكوفة، انقلب عليه أهل العراق وخرجوا لقتاله بأمر من يزيد بن معاوية وهو الخليفة الأموي القاطن في الشام، فقاتل الحسين بن عليّ مع أهل بيته الجيش الأموي الكبير العدد قتال الأبطال حتى قتل هو وأهل بيته. وقد أبدى الجيش الأموي في هذه المعركة، كل نذالة وسفالة، ومنذ ذلك الحين اتخذ الشيعة كربلاء مركزاً روحياً يأتونه من كل مكان ويزدحمون فيه ازدحاماً ليس عندنا من الروحانية المسيحية له مثيل، وأصبحت كربلاء مدينة شيعية، وفيها علماء شيعة ومدارس لهم.

بداية الرحلة إلى النجف وكربلاء

بدأت رحلتي من البصرة إلى بغداد، حيث مركز الوالي المنصوب من قبل الخليفة العثماني في الأستانة، ومن هناك ذهبت إلى الحِلَّة وهي مدينة تقع على شطّ الفرات. والفرات ودجلة، نهران كبيران يخترقان العراق من تركيا ويصبّان في البحر، ويعود الفضل إلى هذين النهرين في زراعة العراق ورفاهها، وقد اقترحت على وزارة المستعمرات بعد عودتي إلى لندن، أن نخطط لوضع اليد على مصب هذين النهرين، لنتمكن من إخضاع العراق إلى حالة طوارىء، فإن انقطع الماء عن العراق لا بد أن يخضع أهلها لمطالب الوزارة.

تحريض شيعة العراق ضد الخلافة

ومن الحلّة ذهبت إلى النجف في زي تاجر من تجار أذربيجان، واجتمعت برجال دين وصار بيننا إلفة، وأخذت أزورهم وأحضر مجالس دروسهم وأعجبت بهم أيما إعجاب لصفاء روحهم وغزارة علمهم وشدة تقواهم ولكن وجدتهم قد مرَّ عليهم الزمن ولا يفكرون في تجديد أمور حياتهم.

ـ كانو في عداء شديد مع السلطة العثمانية لا لإنهم سنّة، ولكن لأن السلطة كانت تضغط على حريّاتهم بشدة، ولكنهم لا يفكرون بمحاربتها والتخلص منها.

ـ كانوا قد حصروا أنفسهم في علوم الدين أمثال قساوستنا في عصر الانحطاط والجمود، وقد تركوا علوم الدنيا، إلا بمقدار قليل لا ينفع، ولا يفكرون فيما يجري حولهم في العالم. وقد قلت في نفسي، مساكين هؤلاء فهم في سبات عميق، وسيأتي يوم يجرفهم السيل، وقد حاولت استنهاضهم لمحاربة الخلافة، فلم أجد فيهم أذناً صاغية، وكان بعضهم يسخر مني، وكانوا ينظرون إلى الخلافة العثمانية، وكأنها مارد جبّار لا يُقهر، إلا إذا ظهر ولي الأمر عجَّل الله فرجه.

وولي الأمر عندهم هو إمامهم الثاني عشر من ذريّة الرسول ﷺ غاب عن الأبصار عام 255هـ أي بعد ظهور رسولهم بـ255 سنة وهو سيظهر ليملأ العالم عدلاً، بعد أن مليء جوراً، وأنا أعجب من هذه العقيدة الخرافية وهي تشبه عقيدة المسيحيين الذين يقولون أن المسيح سيعود من عليائه ليملأ الدنيا عدلاً.

ـ قلت لأحدهم: أليس من الواجب أن تغيّروا الظلم كما غيّر الرسول، قالوا: إن الرسول كان يسنده الله.

قلت: في القرآن يقول: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: 7] فأنتم أيضاً يسندكم الله إن قمتم بالسيف في وجه الطغيان. قالوا: أنت تاجر وهذه مواضيع علمية يقصُر فهمك عن معرفتها.

مرقد الإمام أمير المؤمنين كما يسمّونه

هو مرقد جميل مزخرف، وعليه قبة ذهبية ومنارتان ذهبيتان، والشيعة يدخلونه كل يوم زرافات، ويقيمون فيه الصلوات ويقبّلون ضريحه الذي دفن فيه، وينحني كل واحد على عتبته يقبلها ثم يسلِّم على الإمام، ويستأذن في الدخول، ويحيط بالحرم صحن كبير، فيه غرف كثيرة هي مأوى لرجال الدين والزوار.

وفي كربلاء، حرمَان على طراز حرَم الإمام عليّ، وهما حرَم الحسين، والثاني حرَم العباس وهو أخ للحسين قتِل معه في كربلاء، وتفعل الشيعة في

كربلاء ما تفعله في النجف، وكربلاء محاطة بالبساتين والأنهار الجارية ومناخها جميل.

تقرير شامل عن حالة العراق

في سفرتي إلى العراق، وجدت ما يثلج صدري فقد كانت الأوضاع العامَّة والخاصّة تنذر بنهاية الحكم العثماني، فالوالي من قِبل الاستانة رجل مستبدّ وجاهل يحكم بما يشاء، وكأن الناس عبيد وإماء له، والشعب غير راضٍ عنه والدولة العثمانية لا تعير الشيعة اهتماماً وتضغط على حرياتهم.

وأهل السنة لا يريدون أن يحكمهم رجل تركي وفيهم الأشراف والسادة من آل الرسول ﷺ والبلاد في خراب، يعيش الناس فيها في قذارة وخراب، والطرق غير مأمونة، والعصابات منتشرة، يترصدون القوافل فينقضوا عليها إذا لم تكن معهم قوّة من الشرطة. والمخاصمات بين العشائر على قدم وساق ينقضّون على بعضهم بالقتل والسلب، والجهل والأميّة متنشية بصورة مدهشة تذكرني بأيام الكنيسة عندما كانت مستولية على بلادنا باستثناء رجال الدين في النجف وكربلاء وقلَّه مرتبطه بهم، وعدا ذلك لا تجد قارئاً ولا كاتباً في كل ألف إنسان. والاقتصاد منهار، تعيش الناس في فاقةٍ شديدة، وفقر مدقع، والنظام غير مستتب والفوضى تسود، ولا يوجد تعاون بين الحكومة والناس. ورجال الدين غارقون في الأمور الدينية، عازفون عن الحياة الدنيا والصحارى أغلبها قفار لا زراعة فيها، مع أن النهران دجلة والفرات يمران عبر أراضيهم.

إقامة مستر همفر في كربلاء

بقيت في كربلاء مدة أربعة أشهر، وقد استأجرت غرفة في مكان تحت الأرض يسمى السرداب، وقد أصابني في هذه الفترة مرض حاد حتى يئست من نفسي، وكان الفصل صيفاً شديد الحر، وراجعت طبيباً كان هناك ووصف لي بعض الأدوية وكان صاحب البيت الذي استأجرت منه الغرفة، يضع لي الطعام،

ويحضر لي الدواء لقاء أجر بسيط، ويعتبر خدمتي قربةً إلى الله حيث أنه يخدم زائراً لأمير المؤمنين عليه السلام.

وبعد أن شفيت ذهبت إلى بغداد، وهناك كتبت تقريراً من مشاهداتي في النجف وكربلاء والحلَّة وبغداد، والتقرير استوعب مائة صفحة، وسلَّمته إلى ممثل الوزارة في بغداد وانتظرت أوامر الوزارة، هل أبقى في العراق أو أعود إلى لندن. وكنت شديد الشوق للعودة إلى لندن فقد طال سفري إلى العراق حوالي ثلاث سنوات، وقد طلبت من الوزارة أن يسمحوا لي بالعودة وكنت أثناء إقامتي أرى كيف كان الأتراك يتعمدون إذلال أهل العراق لأنهم عرب.

محمد ابن عبد الوهاب يذهب إلى بلاد فارس

أثناء إقامتي في البصرة وكربلاء والنجف، كنت قلقاً على مصير الشيخ محمد عبد الوهاب، حيث كنت لا آمن أن ينحرف عن الطريقة التي رسمتها له، فهو شديد التقلّب، عصبيّ المزاج، وكنت أخشى أن تنهار كل آمالي التي بنيتها عليه، وعندما فارقته كان يريد أن يذهب إلى الأستانة لكني منعته من ذلك وقلت له إنهم سيكفروك وقد يقتلوك. وأشرت عليه بالذهاب إلى أصفهان وشيراز وأنهما بلدين جميلين وكنت مطمئناً بأنه لن يتأثر بالشيعة.

بعدها عدت إلى لندن وأخبرتهم بكل ما شاهدت ففرحوا بهذه المعلومات، وقد أبدى الوزير ارتياحه الكبير وقال لي: إنك لو لم تحصل في كل أتعابك إلا على الشيخ، لكان كافياً مقابل هذه الأتعاب، وقد أبديت قلقي عن مصير الشيخ، ولكن الوزير طمأنني وقال إنه ما زال على ما فارقته من الأفكار، وأن عملاء الوزارة في أصفهان أخبروه بذلك.

وقد حصل مستر همفر على أعلى وسام بحضور أعضاء الوزارة:

يقول: لقد استحقيت أعلى أوسمة الوزارة حيث أن درجتي صارت الأولى بين العملاء المخلصين، وقال لي الوزير: سنطلعك على أسرار أخرى، ثم منحوني عشرة أيام لكي أقضيها مع أهلي.

الباب الرابع

من الأسرار الخاصة للجنة شؤون المستعمرات

يقول همفر: راجعت الوزارة لأعرف ماذا عليَّ أن أفعل في المستقبل، وكان في استقبالي السكرتير وقد صافحني بحرارة وقال:

ـ لقد أمرني الوزير أن أطلعك على سرّين هامين من أجل المستقبل.

السرّ الأول:

أخذ بيدي وأدخلني إلى إحدى غرف الوزارة وقد رأيت عجباً، فهناك مائدة مستديرة حولها عشرة رجال، أحدهم يلبس زيّ السلطان العثماني وهو يتكلم التركية والإنكليزية والثاني في زيّ شيخ الإسلام في الأستانة والثالث في زيّ الملك الفارسي، والرابع في زيّ عالم البلاط الشيعي، والخامس في زيّ مرجع التقليد لأهل الشيعة في النجف، وهؤلاء يتكلمون الفارسية والإنكليزية وعند كل واحد كاتب ليكتب ما يقول، وهؤلاء الخمسة يمثلون الرجال الأصليون وقد صنعناهم لنرى كيف يفكّر أولئك الخمسة، ونحن نزوّد هؤلاء بالمعلومات التي تصلنا من الأستانة وظهران والنجف، وهؤلاء بمنزلة أولئك الخمسة الأصليين ثم يجيبون عن كل ما نسألهم، وقد لاحظنا أن نتائج تفكير هؤلاء الخمسة تطابق سبعين في المائة من تفكير أولئك الأصليين ثم قال السكرتير: إن شئت جرِّب الأمر بنفسك، فإنك قابلت عالم النجف.

تقدَّمت إلى البدَل، وقلت له: مولانا هل يجوز لنا نحن الشيعة أن نحارب الحكومة لأنها حكومة سنيّة شديدة التعصُّب؟

تروّى البدَل عن المرجع وقال: لا يجوز لنا محاربتهم لأنهم سنّة، فإن المسلمين إخوة وإنما يجوز لنا محاربتهم لأنهم يضطهدون الأمّة وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يرفعوا أيديهم عن اضطهادنا وحينذاك نتركهم وشأنهم.

قلت: مولانا لماذا نرى قذارة الصحن الشريف والشوارع والأزقة حتى إني رأيت القذارة في المدارس العلمية أيضاً؟

قال: النظافة لا شك أنها من الإيمان، ولكن ماذا نصنع بقلّة المياه وعدم اهتمام الحكومة العثمانية بالنظافة؟

كانت المفاجأة من أجوبة البدل، أنها كلها مطابقة لأجوبة العالم المرجع في النجف بدون زيادة ولا نقصان.

وقد دُهشت لهذا الحوار البديل المطابق للأصل.

مع شيخ الإسلام في الأستانة

قال السكرتير: لو كنت واجهت الأربعة الأصليين وتكلّمت معهم لكان لك أن تتكلم مع هؤلاء الأبدال لترى كيف أن هؤلاء الأبدال مثل أولئك الأصلاء.

قلت: إني أعرف كيفية تفكير شيخ الإسلام لأن أستاذي الشيخ أحمد أفندم نقل لي جملة وافية عنه.

قال السكرتير: تفضَّل وتكلّم مع البدل عنه فتقدمت إلى البدل وقلت له: أفندم هل تجب طاعة الخليفة؟

قال: نعم يا ولدي مثل وجوب طاعة الله ورسوله.

قلت: أفندم بأي دليل؟

قال: ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59].

قلت: أفندم، إذا كان الخليفة ولي الأمر فكيف يأمرنا الله بطاعة يزيد الذي أباح المدينة المنوّرة لجيشه، وقتل الحسين سبط رسول الله، وكيف يأمرنا الله بطاعة يزيد الذي كان يشرب الخمر.

قال البدل: يا ولدي إن يزيد كان أمير المؤمنين من قِبل الله تعالى وقد

أخطأ في قتله الحسين وتاب، أما إباحته المدينة المنوّرة، فقد كانت صحيحة لأنهم طغوا وبغوا وخلعوا الطاعة.

وأما أن يزيد كان يشرب الخمر الممزوجة بالماء والتي لا توجب السُكر، وذلك جائز في شريعة الإسلام.

قلت للسكرتير: ما فائدة هذه التمثيلية؟

قال: يجب أن نعرف كيف يفكّر سلاطين وعلماء المسلمين سنَّةً وشيعة، ونضع الحلول المناسبة.

عليك أن تعرف عدوّك لنتمكن كيف يمكنك خلخلة عقيدته.

كتاب كيف نحطّم الإسلام

بعد ذلك أعطاني السكرتير كتاباً من ألف صفحة فيه المناقشات التي جرت والخطط التي تمَّ إقرارها.

قرأت الكتاب، وقد دهشت لما حواه من دقَّة المناقشات وكأنها واقعية، فكانت مطابقة للأجوبة التي أعرفها أكثر من سبعين بالمائة، ومما ذُكر في الكتاب أن الأمبراطورية العثمانية ستزول في أقل من قرن.

وقال السكرتير: هناك غرف أخرى لبقية المستعمرات التي بأيدينا، والتي سيتم استعمارها فيما بعد.

قلت للسكرتير: من أين تحصلون على هؤلاء الأبدال بهذه الدقة والقدرة؟

قال: إن عملاءنا في كافة البلاد يزوّدونا بالمعلومات الكافية بصورة مستمرَّة، وهؤلاء الأبدال هم أخصائيون في هذه الناحية، لأنك عندما تحصل على هذه المعلومات الكافية كما يعلمها فلان، يكون تفكيرك واستنتاجاتك مثل تفكيره، وتستطيع أن تكون عندئذ نسخة عنه طبق الأصل.

بعد أن طالعت الكتاب بدقّة، ظهرت لي آفاق جديدة لمعرفة أوضاع

المسلمين، وكيفية تفكيرهم، ولماذا هم متأخرون، وما هي نقاط الضعف فيهم، كما ظهرت نقاط القوَّة، وكيف يجب العمل لهدمها وتبديلها بنقاط ضعف.

مواطن الضعف التي يجب استثمارها

ـ الخلاف بين السنة والشيعة

ـ الخلاف بين الحكام والشعوب، وبين الأتراك والفرس

ـ بين العشائر، وبين العلماء والحكومة

ـ الجهل والأمية التي تكاد تشمل كل المسلمين

ـ خمول وذبول روح المعرفة وفقدان الوعي

ـ دكتاتورية الحكام والاستبداد الشامل

ـ عدم أمان الطرق وانقطاع المواصلات إلا بقدر قليل

ـ تدهور الصحَّة العامَّة، حتى أن بعض الأمراض المعدية قضت على عشرات الآلاف

ـ احتقار المرأة وهضم حقها

ـ الوساخة والقذارة في الأسواق والشوارع والأجسام وكل مكان

ـ كان الكتاب يذكر بعد كل نقطة ضعف، أن القوانين الإسلامية هي بعكس ذلك، واللازم أن يبقى المسلمون في جهلهم حتى لا ينتبهوا لحقيقة دينهم، **فالإسلام يأمرهم:**

ـ بالاتحاد والألفة ونبذ الفوارق فيقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: 103] ويأمرهم بالعلم ففي الحديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

ـ ويأمرهم بالوعي وأخذ العبر من الأقوام السابقين فيقول: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن

قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137]

ـ ويأمرهم بطلب الدنيا فيقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: 201].

ـ ويأمرهم بالمشورة فيقول: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38].

ـ ويأمرهم باحترام المرأة فيقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228].

ـ ويأمرهم بقوة الجيش والسلاح: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60].

ـ ويأمرهم بالنظافة: (النظافة من الإيمان).

مواطن القوَّة التي يجب هدمها

ـ هم يُحرِّمون الرّبا، والاحتكار والبغاء والخمر ولحم الخنزير

ـ يحترمون علمائهم

ـ يؤمنون بالجهاد ضد الأعداء ويعتبرونه واجب

ـ يعتقدون بأن الإسلام يُعلى ولا يُعلى عليه

ـ يشدّدون على العبادة كالصلاة والصوم والحج

ـ يهتموا بتربية أولادهم على الدين والأخلاق الإسلامية.

ـ وجوب إعطاء الخمس عند الشيعة ودفعها للعلماء لتوزَّع على الفقراء.

ـ يعتبرون حجاب المرأة هو حماية لها من الفساد.

ـ زيارة النبي والأولياء الصالحين، فهي مراكز تجمعهم وتجدّد إيمانهم بالدين وتشجّع على العمل الصالح.

ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم أوصى الكتاب بتوسيع نقاط الضعف وطمس نقاة القوَّة.

يقول في توسيع نقاط الضعف:

ـ يجب نشر سوء الظن بين الفئات المتنازعة ونشر الكتب للطعن بكل فئة للفئة الأخرى وبذل المال من أجل ذلك.

ـ تشجيع الجهل وعدم فتح المدارس ونشر الكتب، وإحراق ما يمكن إحراقه من الكتب.

ـ تشويه سمعة علماء الدين بتلفيق إتهامات لهم.

ـ التشجيع على الاهتمام بالآخرة، والبعد وعدم الاهتمام بأمور الدنيا.

ـ توسيع حلقات أدعياء التصوف، وترويج الكتب التي تأمر بالزهد مثل كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وكتب ابن عربي، وجلال الدين الرومي.

ـ المحافظة على الحكم الدكتاتوري، والدليل على ذلك هو حكم بني أمية وبني العباس خلال قرون، وقد حكموا بالقوَّة والسيف مدّة قرون من الحكم الإسلامي.

ـ الإبقاء على تخلفهم بعدم الاهتمام بالصحة لأن كل شيء مقدَّر من الله تعالى، ألم يقل القرآن: و﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 79 ـ 80].

ـ إشاعة أن الإسلام يحتقر المرأة.

ـ البقاء على الوساخة والقذارة بالحيلولة من إقامة مشاريع مائية.

ـ التشكيك في العقيدة، واتهام الإسلام بأنه دين متخلِّف.

ـ إغراء المرأة بخلع الحجاب، والقول بأنها عادة أوجبها الخلفاء وهي ليست عادة إسلامية.

ـ هدم الحسينيات والقول بأنها بدعة وضلالة.

ـ نشر مفهوم الحرية وبأن على الإنسان أن يفعل ما يريد من الأعمال.

ـ التشكيك بالقرآن وبالأحاديث النبوية.

هذا ما قرأته في كتاب «كيف نحطّم الإسلام» وحين أرجعت الكتاب إلى الوزارة قال لي السكرتير: اعلم أنك لست وحدك بالميدان بل هناك جنود مخلصون يعملون وهم الآن أكثر من خمسة آلاف، ونفكّر الوزارة بأن تزيدهم إلى مائة ألف، وأُبشرك بأن ما تحتاجه الوزارة لإكمال هذه الخطَّة هو قرن من الزمان، ثم قال: إن الحروب لم تكن ذات جدوى، كما أن المغول لم يقدروا من قلع جذور الإسلام، لأن عملهم كان ارتجالاً بدون حكمة وتخطيط.

إن الحروب العسكرية الظاهرة العدوان لا تجدي نفعاً، أما الآن فقد اتجه تفكير القادة من حكومة بريطانيا العظمى إلى هدم الإسلام من داخله بخطط مدروسة دقيقة وبصبر طويل.

صحيح أننا نحتاج إلى حسم عسكري أخيراً ولكن سيأتي في المرحلة الأخيرة بعد أن نكون قد أنهكناهم، ثم تابع السكرتير يقول: إن عملائنا في الأستانة، عملوا بنفس الخطّة، وتغلغلوا في أوساط المسلمين ففتحوا المدارس لتربية أولادهم وأسّسوا الكنائس في أوساطهم ونشروا بينهم الخمر والقمار والدعارة، وشككوا شبابهم في دينهم، وأثاروا الفتن وملأوا بيوت كبارهم بالحسنوات المسيحيات حتى يضعف تمسّكهم بدينهم وبعد ذلك تشنّ عليهم الحروب فينقلع الإسلام من جذوره.

وثيقة أخرى

ـ إذكاء النزاعات التركية الفارسية.

ـ إحياء المذاهب الدينية القديمة.

ـ تقسيم البلاد إلى دول صغيرة تتنازع فيما بينها كما هي حال الهند.

ـ زرع الأديان والمذاهب المزيّفة في بلاد المسلمين، والدسّ في كتبهم.

ـ منع اللغة العربية قدر الإمكان، وإحياء اللغات الأخرى، لتضعف لغة

القرآن ونشر ملايين الكتب المسيحية مجاناً وزرع الأديرة باسم الرهبان والراهبات لتسهيل حركتهم.

ـ تكوين جيش من العلماء من أجل تشويه تاريخ المسلمين والدسّ في كتبهم.

ـ إفساد أخلاق الشباب، وتكوين جمعيات سريَّة من شباب اليهود والنصارى والتأثير على شباب المسلمين بكل الطرق.

ـ إشعال الحروب والثورات لاستنزاف طاقاتهم ومواردهم المالية، فيقتل الشباب النشيط منهم ونشر الفوضى.

ـ تحطيم كل أنواع الاقتصاد والسعي لتنفشّي البطالة، وفتح محلات لبيع المخدرات والأفيون.

ـ زرع حركات بين الشيعة، كل واحدة تؤلّه إماماً في كربلاء وسامراء وخرسان وكذلك بالنسبة للسنَّة، الدس في كتبهم بأن كل فئة منهم هم المسلمون فقط، وما عداهم كفّار يجب قتلهم وإبادتهم.

الباب الخامس

محمد بن عبد الوهاب ينفِّذ أوامر بريطانيا

يقول همفر

بعد أن قرأت هذه الوثائق شكرت السكرتير، وأتتنا الأوامر بأن نتوجّه إلى العراق مرَّة أخرى، وقد شدّد عليَّ السكرتير بأن أهتم بأمر الشيخ محمد عبد الوهاب لأنه أفضل شخص يمكن الإعتماد عليه.

وقال لي السكرتير: تكلَّم مع الشيخ بصراحة وقال: إن عميلنا في أصفهان تكلّم معه بصراحة وقبِل الشيخ العرض على شرط أن نحفظه من الحكومات

والعلماء الذين لا بد وأن يهاجموه بكافة السبل حينما يبدي آراءه وأفكاره، وأن نزوّده بالمال الكافي، والسلاح إذا اقتضى الأمر ذلك، وأن نجعل له إمارة صغيرة في أطراف نجد وقد قَبِلَت الوزارة بذلك.

المخطط البريطاني لابن عبد الوهاب

يقول مستر همفر: فرحت جداً ثم قلت للسكرتير وبماذا أكلّف الشيخ؟ قال: لقد وضعت الوزارة خطَّةً دقيقة لأن ينفذها الشيخ وهي:

ـ تكفير كل المسلمين وإباحة قتلهم وسلب اموالهم وهتك أعراضهم، وبيعهم في أسواق النخاسة، وحليَّة جعلهم عبيداً ونسائهم جواري.

ـ هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية إن أمكن ومنع الناس من الحج، وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

ـ السعي لخلع طاعة الخليفة، ومحاربة أشراف الحجاز بكل الوسائل الممكنة والتقليل من نفوذهم.

ـ هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدّسة عند المسلمين في مكّة والمدينة، وسائر البلاد باسم أنها وثنية وشرك، والاستهانة بشخصية النبي محمد وخلفائه ورجال الإسلام.

ثم قال لي السكرتير: لا تخف من هذا البرنامج الضخم، فنحن علينا أن نزرع البذرة، وستأتي الأجيال القادمة لتكمل المسيرة.

وقد اعتادت بريطانيا على النفس الطويل خطوةً خطوة، وهل كان محمد إلا رجل واحد وقد تمكّن من الإنقلاب المذهل؟ فليكن محمد بن عبد الوهاب مثل نبيِّه ليتمكّن من هذا الإنقلاب المنشود.

مستر همفر يلتقي بابن عبد الوهاب في نجد

يقول مستر همفر: غادرت لندن بعد أن أخذت التعليمات قاصداً نحو

البصرة، وقد أخبروني في البصرة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب سافر إلى نجد وترك لي كتاباً يخبرني فيه عن عنوانه في نجد.

سافرت إلى نجد ووجدت محمد في داره، واتفقت معه أن يقول إذا سأله أحد عني، بأني عبد قد اشتراه من البصرة، وبقيت سنتين عنده، واتفقنا على إظهار الدعوة في وقت معين.

وفي سنة 1143هـ أظهر محمد بن عبد الوهالب دعوته بعد أن جمع أنصاراً لا بأس بهم. ثم صار يوسّع رقعة دعوته، وساعدناه بعصابة شديدة المراس، وزودناهم بالمال وكان كلما أظهر الدعوة، صار أعداؤه اكثر، وفي حال أراد أن يتراجع من ضغط الإشاعات كنت أشدّ عزيمته، وأقول له أن النبيّ رأى أكثر من ذلك، وأن هذا طريق المجد، وأن كل مصلح لا بد أن يلتقي العنّت والتعب...

محمد بن عبد الوهاب ينفذ أربعة بنود من المخطط

ـ من البنود التي رفض أن ينفذها، أنه لا يستطيع هدم الكعبة ولو استولى عليها، وعدم قدرته على صياغة قرآن جديد، لأن الأستانة تجهّز له الجيوش. وبعد سنوات من العمل، استطاعت وزارة المستعمرات البريطانية أن تجلب محمد بن عبد الوهاب إلى جانبها من الناحية الدينية، ومحمد بن سعود من جهة السلطة ولأننا نعرف أن الحكومات الدينية أشد نفوذاً وأرهب جانباً.

وهكذا كان، كانت الوزارة تزوِّد الحكومة الجديدة بالمال، وقد اشترت الوزارة عدداً من العبيد هم في الحقيقة من خيرة ضباط الوزارة الذين دُرِّبوا على اللغة العربية والحروب الصحراوية. وكنا نتعاون بوضع الخطط اللازمة، وكان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود يسيران كما نضع لهما الخطط.

وقد تزوجنا جميعاً من بنات العشائر وقد أُعجبنا بإخلاص المرأة المسلمة لزوجها وصارت الأمور تسير من حسن إلى أحسن وإن لم تقع مفاجأة فإن البذرة التي زرعناها تنمو حتى تؤتي ثمارها.

محتويات الفهرس

مقدمة (مختصرة) 3
الوهابية 4
كان شعار الوهابية الأول هو: 4
الدعوة الوهابية هي من تدبير وصنع المخابرات البريطانية: 4

الفصل الأول

سمات الوهابية: 5
عدم التزامهم بهدي رسول الله ﷺ 6
مساهمة هذه الدعوة في خدمة أعداء الإسلام: 7
التمسك بالقشور: 7
الآثار التي هُدمت من قِبَل الوهابية في مكّة المكرمة: 7

الفصل الثاني

ـ ينسبو إلى الله الجلوس والقعود: 9

الفصل الثالث

نشأة الوهابية 12

محمد بن عبد الوهاب 14
وجوب الهجرة إليه: 14
عقيدته: 16
علمه: 16

الفصل الخامس

مخالفة الوهابية لجمهور الأمّة الإسلامية: 17
ما قاله أخو محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الوهاب: 18
ملحق الكتاب 19
مذكرات مستر همفر (رجل المخابرات البريطانية في البلاد الإسلامية): 19
الباب الأول: 19
يقول همفر: 19
أسباب تخوِّف بريطانيا وهي: 20
مؤتمرات لإزالة أسباب التخوّف: 20
الباب الثاني: 21
مستر همفر مبعوث المخابرات البريطانية لبعض بلاد المسلمين: 21
يقول همفر: 21
مستر همفر يدّعي الإسلام: 22
تعلُّم القرآن وممارسة الوضوء والصلاة: 23
ـ استعمال السواك: 23
عودة همفر إلى لندن وأحوال بقية المبعوثين: 23
العودة إلى لندن: 24
مهمة مستر همفر تنحصر في هدفين وهما: 24
همفر يلقي الفتى بين السنّة والشيعة: 25
ابن عبد الوهاب ضالّة مستر همفر 25
ابن عبد الوهاب يضرب بآراء الصحابة والمذاهب 26